مراعاة الذوق العام في ضوء السنة النبوية

"

إعداد

شاريهان حمدى عبد السلام محمد أبو عيش

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور

مراعاة الذوق العام في ضوء السنة النبوية

شاريهان حمدي عبد السلام محمد أبو عيش
البريد الإليكتروني : sharihan971234@gmail.com

ملخص البحث:

أرسل الله رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ففصّل لنا مفردات الأخلاق قولا وعملا وتقريرا، وأكدت الحضارات البشرية على امتدادها أن هذه المنظومة الأخلاقية النبوية محل احترام وإجلال على الإطلاق دونما جدال، وكانت سيرته – ﷺ– نموذجا للحياة الإيجابية، ونظاما متكاملا بين العلم والعمل، والتنظير والتطبيق، وكل ذلك مرهون بالأخلاق الفاضلة ، وأخص بالبحث من منظومة أخلاقه –ﷺ– جانبا يمس واقع حياتنا اليومية، ولطالما اعتنى به أهل زماننا، وهو "مراعاة الذوق العام في ضوء السنة النبوية "

فقد قَعَّد النبي – ﷺ– قواعد، وأسَّسَ نظما غير قابلة للتبديل ولا التغيير، لأنها بمرونتها تنسجم مع كل إنسان وزمان ومكان حيث سبقت كل القوانين والتشريعات في ترسيخ سلوكيات التعامل بين الأفراد والجماعات.

ويظن البعض أن مسألة الذوق لا تخضع للدين وإنما تخضع للطباع والأعراف ، ولا ريب أن هذا مجاف للصواب، فالحقيقة أن الدين جاء مهذبا للفِطَر مراعيا للمشاعر، فقد راعت السنة النبوية مسألة الذوق العام أيّما مراعاة معتبرة الرقي بالذوق العام من معالم النضج الإنساني والتطور الفكري ، وهو ما أحاول توضيحه في هذا البحث بإذن الله تعالى.

الكلمات المفتاحية:

الذوق العام ، السنة النبوية ، الأخلاق .

Taking into account public taste in the light of the Sunnah

Sharihan Hamdi Abdel Salam Mohamed Abu Aish
Email: sharihan971234@gmail.com

Research Summary :

God sent His Messenger, Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, with guidance and the religion of truth to proclaim it over all religion, so he detailed for us the vocabulary of morals in word, deed, and report. Human civilizations throughout its length confirmed that this prophetic moral system is absolutely respected and revered without controversy, and his biography - may God's prayers and peace be upon him - was A model for positive life, and an integrated system between science and work, theory and application, all of which is dependent on virtuous morals, and is specifically researched.

One of his morals - may God's prayers and peace be upon him - is an aspect that touches the reality of our daily lives, and the people of our time have always taken care of it, and it is "observing public taste in the light of the Prophetic Sunnah."

The Prophet - may God's prayers and peace be upon him - set rules, and established systems that are not subject to change or change, because with their flexibility they are in harmony with every person, time and place, as all laws and legislations preceded in establishing the behaviors of dealing between individuals and groups.

Some think that the issue of taste is not subject to religion, but to character

And customs, and there is no doubt that this is contrary to the truth, the truth is that the religion came polite to the instincts, taking into account the feelings, the Sunnah of the Prophet took into account the issue of public taste, in any way, taking into consideration the upliftment of public taste as one of the features of human maturity and intellectual development, which is what I try to clarify in this research, God willing.

key words :

Public taste, Sunnah, morals.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به سبحانه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3]، [4].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهُدَى هُدَى محمدﷺ، وشر الأمور مُحْدَثَاتُهَا، وكل بدعة ضلالة [5].

وبعد:

فقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وفصّل لنا النبي ﷺ مفردات الأخلاق قولا وعملا وتقريرا، وأكدت الحضارات البشرية على

---

(1) سورة آل عمران: الآية رقم: (١٠٢).

(2) سورة النساء الآية رقم: (١).

(3) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

(4) هذه خطبة الحاجة، وقد أخرجها أبو داود: كتاب النكاح: باب في خطبة النكاح: (٤٥٦/٣، ح/٢١١٨)- وإسناده صحيح، وإن كان فيه أبو عُبيدة بن عبد الله بن مسعود ﷺ- لم يسمع من أبيه، إلا أنه جاء مقرونا بأبي الأحوص - وهو عوف بن مالك بن نَضلة الجُشَمي. [تقريب التهذيب: (٦٥٦، ت/٨٢٣١)]، وأخرجه الترمذي: كتاب النكاح: باب ما جاء في خطبة النكاح، (٤٠٥/٣، ح/١١٠٥)، وقال حديث حسن.

(5) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٤١٨/٣ ح/٨٦٧).

امتدادها أن هذه المنظومة الأخلاقية النبوية محل احترام وإجلال على الإطلاق دونما جدال.

فقد أمر ﷺ أمته بجُمَل علم الأخلاق جمعا وتفصيلا، فكانت سيرته ﷺ نموذجا للحياة الإيجابية، ونظاما متكاملا بين العلم والعمل، والتنظير والتطبيق، وكل ذلك مرهون بالأخلاق الفاضلة.

وأخص بالبحث من منظومة أخلاقه ﷺ جانبا يمس واقع حياتنا اليومية، ولطالما اعتنى به أهل زماننا، وهو "مراعاة الذوق العام في ضوء السنة النبوية"، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

- التمهيد: وفيه التعريف بمصطلح الذوق العام.
- المبحث الأول: مراعاة الذوق العام في البيت.
- المبحث الثانى: مراعاة الذوق العام في اللباس.
- المبحث الثالث: مراعاة الذوق العام في الكلام.
- المبحث الرابع: مراعاة الذوق العام في الطريق.
- المبحث الخامس: مراعاة الذوق العام في المسجد.
- الخاتمة.

التمهيد

🕮 الذوق العام إبان الفهوم المختلفة ضبطا وتحليلا.

الذَّوْقُ: مَصْدَرُ ذاقَ الشيءَ يذُوقه ذَوقاً وذَواقاً ومَذاقاً، فالذَّواق والمَذاق يَكُونَانِ مَصْدَرَيْنِ وَيَكُونَانِ طَعْماً، كَمَا تَقُولُ ذَواقُه ومذاقُه طَيِّبٌ؛ والمَذاق: طَعْمُ الشَّيْءِ، والذَّواقُ: هُوَ المأْكول وَالْمَشْرُوبُ"[1]، ومِن المجاز أن يُستعمل الذوق –وهو ما يتعلَّق بالأجسام– في المعاني؛ كقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[2]، وقوله –عز وجل –: ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾[3]،

وفي المعجم الوسيط: (الذَّوْق) الحاسة الَّتِي تميز بهَا خَواص الْأَجْسَام الطعمية بوساطة الجهاز الْحسي فِي الْفَم ومركزه اللِّسَان و (فِي الْأَدَب والفن) حاسة معنوية يصدر عَنْهَا انبساط النَّفس أَو انقباضها لَدَى النّظر فِي أثر من آثَار العاطفة أَو الْفِكر وَيُقَال هُوَ حسن الذَّوْق للشعر فهامة لَهُ خَبِير بنقده [4].

ومن هنا فالذوق يستعمل حسا ومعنى، ويتصور كثير من الناس أن مسألة الذوق العام تخضع لأعراف الناس وتقاليدهم، أو ما يعرف في الوقت الراهن "بالإتيكيت"، ولا تمت إلى الدين بصلة، ولا علاقة للدين بها من قريب أو بعيد، ولا شك أن هذا خطأ محض، فقد جاء الدين مهذبا للطباع، مراعيا للمشاعر، جابرا للخواطر، فكل حسن من الدين يُستمد، وعليه يعتمد.

---

(1) لسان العرب: (١٠/ ١١١).

(2) الدخان: ٤٩.

(3) التغابن: ٥.

(4) المعجم الوسيط (١/ ٣١٨).

وعرف الذوق العام بأنه: خلق تنصهر فيه الأخلاق الحسنة بشكل واضح فيظهر هذا الذوق بآثاره الطيبة الجميلة علي سلوك صاحبه وتصرفاته وتعامله مع كل من حوله من البشر أو الحيوان أو الطير أو البيئة بصفة عامة [١].

ويقول الأستاذ أحمد أمين في مقال له: يظهر لي أن للأمة ذوقا عاما كما أن لها رأيا عاما وعرفا عاما لكل دائرة اختصاص لا يتعداها. فالرأي العام مداره الآراء والأفكار والمعقولات، والعرف العام، مداره العادات أما الذوق العام فمداره الفن والجمال[٢].

وقد تفرعت وتعددت التصورات لمصطلح الذوق العام، واختلفت من شخص لآخر، لكنها في النهاية تصب في معين واحد، ويمكن تعريف الذوق العام بأنه:

- مزيج من الأخلاق الرفيعة التي ترقى بالفرد والمجتمع نحو سماء الرفعة والازدهار، والسلام النفسي والاجتماعي.
- كل ما يهتم به الناس –خاصة الكبار– من أمور يحمدوا بها.
- ما يأسر قلوب الناس ويثير اهتمامهم.
- الاستطلاع والكشف الدقيق عن المشاعر الإنسانية، من حيث القيام بما يسعد الناس وما يهمهم ويؤثر فيهم.
- تتبع الأحداث والأفكار والوقائع في الحياة اليومية وما ينجم عنها، بغرض تطويعها لسعادة الفرد والمجتمع.
- أمر قائم في أساسه على حب الناس، محدودا بما يعنيهم، وما يرضيهم دائما.

---

(١) ينظر مقال للدكتور منصور السعيد بجريدة الاقتصادية الدولية: عدد الجمعة ١١ سبتمبر ٢٠٢٠م.

(٢) مجلة الرسالة: (العدد: ٢٢/ص: ١٠).

﴿ يشمل كل الأنشطة اليومية الجارية التي تستحوذ على اهتمام الناس دينا ودنيا، وإثارتهم للخير، سواء في علاقاتهم الشخصية أو العامة بحيث تترك أثرا إيجابيا مع كل حديث وحادثة.

المبحث الأول

مراعاة الذوق العام في البيت

إن المتأمل في سنة النبي ﷺ، يجد فيها المنهج الأشمل الذى يحقق كل مصالح ورغبات الروح والجسد، والأسرة والمجتمع في جميع مناحى الحياة، فقد قَعَّد النبي ﷺ قواعد، وأسَّسَ نظما غير قابلة للتبديل ولا التغيير؛ لأنها بمرونتها تنسجم مع كل إنسان وزمان ومكان حيث سبقت كل القوانين والتشريعات في ترسيخ سلوكيات التعامل بين الأفراد والجماعات.

فقد كان النبي ﷺ يشع جمالا في كل أحواله، بدءاً من جمال الروح، وجمال القلب، وجمال العشرة، وجمال الوجه، وجمال الشخصية، وجمال العطر، وجمال الشكل، وجمال الثياب، وجمال البشاشة، وجمال البسمة، -التي استعصت علي كثير من الناس متعذرين بكثرة أشغالهم-، فلا غرو أن تكون سنته ﷺ مصدرا للجمال والذوق الرفيع، فالإسلام في عمومه دين الجمال، فعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قالﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطَر الحق[1]، وغمْط[2]، الناس"[3].

([1]) بطر الحق: هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا. وقيل هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقا. وقيل هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. [النهاية في غريب الحديث والأثر: (١/ ١٣٥)].

([2]) غمط الناس: بمعنى الاستهانة والاستحقار. [النهاية في غريب الحديث والأثر: (٣/ ٣٨٧)].

([3]) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١)ح/٩١).

📖 وفيما يلي سأتناول بعضا من مظاهر الذوق العام في البيت:

أولا: ما يتعلق بالذوق العام في السلام والاستئذان:

- حرص النبي ﷺ على ترطيب اللقاء ببدئه بالسلام بقوله ﷺ: "يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ" (١).

ولا يخفى علي كل ذي عينين ما للسلام من أثر على النفس من إشاعة الطمأنينة والأمان، مع قمة الرقي، قال ابن حجر: وقد تكلم العلماء على الحكمة فيمن شرع لهم الابتداء ...، فتسليم الصغير لأجل حق الكبير؛ لأنه أمر بتوقيره والتواضع له، وتسليم القليل لأجل حق الكثير؛ لأن حقهم أعظم وتسليم المار؛ لشبهه بالداخل على أهل المنزل، وتسليم الراكب؛ لئلا يتكبر بركوبه فيرجع إلى التواضع (٢).

- كذلك الأمر بالاستئذان ثلاثا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا، فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع"(٣).

وقعّد النبي ﷺ قاعدة التلطف والرفق في كل شيئ، فهو القائل: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (٤). ومن معاني الرفق مع الأهل والعشيرة، فيما يتعلق بباب الاستئذان أن يتلطف الإنسان في الدخول والخروج وخفض الصوت، وعدم دفع الباب بعنف، وغيرها من المظاهر والسلوكيات التي تتناسب ورقي المسلم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير، (٨/٥٢، ح/٦٢٣١).
(٢) فتح الباري لابن حجر: (١١/ ١٧).
(٣) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثا (٨/٥٤)ح/٦٢٤٥).
(٤) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الرفق، (٤/٢٠٠٤، ح/٢٥٩٤).

- ومن المظاهر التي تأسر القلوب أيضا ما يرويه جابر بن عبد الله ﷺ، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا، كُنَّا قَرِيبًا مِنَ المَدِينَةِ، تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ(١)، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي، فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: "أَتَزَوَّجْتَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟" قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: "فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ" قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فَقَالَ: "أَمْهِلُوا، حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا -أَيْ عِشَاءً- لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ" (٢).

فالأولي ألا يقْدُم الإنسان من السفر على أهله ليلاً بغتةً من غير أن يشعرهم بقدومه، لأن ذلك الفعل لا تستحبه الزوجة، فهي تحب أن تستقبل زوجها في أحسن حالٍ وأجمل منظر وفي أبهى حلة مما يبعث المحبة والشوق منه إليها، ولا تريد أن يرى منها زوجها ما تعافه نفسه منها، وقد راعى الإسلام ذلك، وهذا من الذوق تجاه الزوجة.

قال الصنعاني: فيه دليل على أنه يحسن التأني للقادم على أهله حتى يشعروا بقدومه قبل وصوله بزمان يتسع لما ذكر من تحسين هيئات من غاب عنهن أزواجهن من الامتشاط، وإزالة الشعر بالموسى مثلا من المحلات التي يحسن إزالته منها، وذلك لئلا يهجم على أهله وهم في هيئة غير مناسبة فينفر الزوج عنهن، والمراد إذا سافر سفرا يطيل فيه الغيبة) (٣).

---

(١) القَطُوف: تَقَارُب الخَطْوِ فِي سُرعة، مِنَ القَطْف: وَهُوَ القَطْع. [انظر النهاية في غريب الحديث والأثر: (٨٤/٤)].

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة (٣٩/٧ح/٥٢٤٧).

(٣) سبل السلام: (٢/ ٢٠٥).

- هذا، ولقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في ترسيخ أرقى مظاهر الذوق العام عند دخول البيت، فعن عائشة -رضى الله عنها- أن النبي ﷺ: "كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك"(١).

ولا يخفى ما في هذا الصنيع النبوي من الرقي والطهر الذي بلغ منتهاه، فاستقبال الرجل البيت وهذا صنيعه مما يبعث على راحة النفس وسكونها.

ثانيا: ما يتعلق بالذوق العام مع الوالدين:

بنى الإسلام قواعد ثابتة، وأسسا قويمة في فن تعامل الفرد مع جميع أفراد عائلته، فالرسول ﷺ هو صاحب الذوق الرفيع والخلق العظيم، وفن التعامل مع الوالدين في الإسلام أشهر من مجرد الإشارة إليه، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"(٣).

ومن فنون الذوق في التعامل مع الوالدين، إجابتهما بالابتسامة والملاطفة، وإشعار الأبوين بأنهما سيدا الموقف، وفي حالة الحديث معهما لابد من النظر إليهما، وعدم الانشغال عنهما، وعند تناول الطعام معهما لا يسبقهما الابن في تناوله، بل ويقدم لهما الطعام ويفضلهما بطيبه على نفسه، والتكلف في إرضائهما، والاستئذان منهما قبل الدخول عليهما.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، (١/ ٢٢٠، ح/٢٥٣).

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، (١٩٧٥/٤، ح/٢٥٤٩).

ولم تقف السنة النبوية عند مجرد البر بالوالدين، بل تخطت كل حدود البر فرغبت في التفنن في البر، بحيث كلما ارتقي المسلم في التعامل مع والديه، كلما كان هذا سببا لجلب النفع وكشف الضر، ألا ترى إلي ذاك الذي توسل إلي الله بتقديم والديه علي أولاده محبة وإكراما؛ فكان ذلك سببا في تفريج كربه، فقد أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، وفيه: "فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت ... الحديث" [1].

ثالثا: ما يتعلق بالذوق العام مع الزوجة:

وأنت ترى نبي الرحمة ﷺ رغم كثرة أعبائه، ومسئولياته التي تنوء بحملها الجبال الراسيات، إلا أنه يقول: "ولَسْت تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرت بها، حتى اللقمة تجعلها في فِي امرأتك ..." الحديث [2]، وكان ﷺ يسمع زوجاته ويتحدث معهن ويلاطفهن، ويراعي الغيرة بين النساء، فعن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحْفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: "غارت أمكم" ثم

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل (٣/ ٩١، ح/٢٢٧٢).

(2) أخرجه البخاري: كتاب المغازى، باب حجة الوداع، (٥/ ١٧٨، ح/٤٤٠٩).

حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسرت [١].

وهذه القصة تحديدا أوضح من أي بيان وأبلغ من أي مقال، فليس الذوق العام والرقي في التعامل خاصا بحال السراء فقط، بل رسول الأخلاق في حال السراء والضراء سواء، بل ربما استعلى ﷺ في تلك الحال إلى حد تعدى كل الحدود في الحلم والعفو.

ولم تقف مراعاته ﷺ للذوق العام مع الأحياء من زوجاته، بل تعدت إلى من فارقن الحياة، فقد بلغ من وفاء النبى ﷺ لأم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– أنه كان إذا ذبح شاة يهدي إلى صديقاتها، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان رسول الله ﷺ ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها"[٢].

وإذا كان من عادة الناس أن يراعي بعضهم بعضا رغبة في حسن السيرة والثناء وكسبا للود حال حياتهم فإن ذلك متعذر من الأموات، وفعل النبي ﷺ له يدل على كماله ورقيه الذي لا يدانيه فيه أحد.

رابعا: ما يتعلق بالذوق العام مع الأولاد:

تعددت فنون الذوق العام الذي أمر به النبي ﷺ مع الأولاد، ومن ذلك:

– حسن اختيار الأسماء والألقاب، فقد كان لذوق الإسلام كلمة، ولأسلوب النبي موقفا، فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: " أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: "بَلْ هُوَ حَسَنٌ " فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الغيرة، (٧/ ٣٦، ح/٥٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، (٨/٩، ح/٦٠٠٤).

سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: " أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟ "قَالَ: قُلْتُ حَرْبًا. قَالَ: " بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ " فَلَمَّا وُلِدَ الثَّالِثُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: " أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟ " قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: " بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ " ثُمَّ قَالَ: " سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمَاءِ وَلَدِ هَارُونَ شَبَّرُ، وَشَبِيرُ، وَمُشَبِّرٌ "(١).

ولا يخفى ما لحسن الاسم من أثر على صاحبه، وفي واقعنا المعاصر يضطر كثير من الناس إلى تغيير أسمائهم في السجلات المدنية نظرا لما يتعرضون له من سخرية نتيجة أن الوالدين لم يحسنا اختيار الاسم.

– تعليم الأولاد الأناقة، والسلوكيات اليومية كآداب الموائد وتوقير الشخصيات وفن المحادثة واللهجة والزيارة والضيافة والبشاشة والابتسامة واحترام المواعيد، إلى غير ذلك من الآداب التي تبعث في المجتمع روح الرقي والحضارة التي لم يُسبق الإسلام إليها، فعن عُمَرَ بن أَبِي سَلَمَةَ ﷺ، قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"، قال: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ "(٢)، وعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ"، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ومن مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله ﷺ، (٣/١٨٠،ح/٤٧٧٣). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: صحيح.

(٢)أخرجه البخاري: كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (٧/ ٦٨، ح/٥٣٧٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم (٣/١٠٩، ح/٢٣٥١).

وإن البيان ليعجز عن وصف مكنون الجنان أمام هذا الذوق الرفيع لسيد ولد آدم وهو يستأذن من غلام صغير، أرأيت إلى قوله: "يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ"؟ إنه بذلك يصنع ويربي جيلا فريدا حضاريا يأبى الضيم، ويعتز بذاته.

خامسا: ما يتعلق بالذوق العام مع الخادم:

عمل الإسلام على إلغاء ظاهرة الرقيق والعبيد، وبيان فضل عتقهم، ولكن ما لو كان للشخص خادم فقد أشار إلى طريقة راقية سامية بلغت في الذوق العام منتهاه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: "لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي" (١).

وعن المَعْرُور بن سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ –رضى الله عنه– وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ"، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ"(٢).

وأنت واجد في هذا التوجيه النبوي الشريف لونا من الرقي والذوق الرفيع ما يعز نظيره في أي حضارة غير حضارة الإسلام، ويؤكده حيث أنسﷺ، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أنسا غلام كيس فليخدمك، قال: "فخدمته في الحضر والسفر فوالله

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد، والأمة، والمولى، والسيد، (٤/١٧٦٤،ح/٢٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب قول النبي ﷺ: "العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون"، (٣/١٤٩، ح/٢٥٤٥).

ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا"[١]

سادسا: ما يتعلق بالذوق العام مع الزائر:

حث النبي ﷺ، على العلاقات الودية بين المسلمين فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، " أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مَدْرَجَتِهِ، ملكا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّهَا[٢]؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله -عز وجل-، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه" [٣].

ويبدو رقى الزيارة في الإسلام واضحاً في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[٤]، وفيه إشارة إلى أن من ذوق الإسلام الاستئذان في الدخول، ولكن هذه الآية تلمس ذوقًا معنويًّا، وهو (الاستئناس)، ومعناها أبلغ من الاستئذان فهي تعني الاستكشاف والتعرُّف على رغبة أهل البيت في الزيارة من عدمها، وهو ذوق معنوي فوق ذوق الاستئذان، فينبغي مراعاة مواعيد لقاء الأصدقاء والزيارات الاجتماعية وليس من الذوق في شيء أن تقرر فجأة بزيارة صديق أو زيارة اجتماعية بين العائلات، فالزيارات الاجتماعية بين الأسر والأصدقاء تبدأ بإخبار أصحاب البيت أولا برغبتك في الزيارة، ومن ثم الاتفاق معهم بناء على ميعاد مناسب للجميع، من قواعد الذوق العام أنه أثناء الزيارة عدم اصطحاب شخص زائد دون علم صاحب المنزل.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب من استعان عبدا أو صبيا، (١٢/٩، ح/٦٩١١).

(٢) قوله: تَرُبُّهَا: أي تقوم بأسباب دوامها. [غريب الحديث لابن الجوزي: (٣٧١/١)].

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، (١٩٨٨/٤، ح/٢٥٦٧).

(٤) سورة النور آية: ٢٧.

فإذا ما حل الضيف على أهل بيت، وجب إكرامه والإحسان إليه حقا مفروضا للزائر، ففي حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزَوْرِك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا [1].

ثم يعلمنا النبي ﷺ البشاشة للضيف بقوله: "لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" [2]. فلطالما أزالت البسمة كثيرا من سخائم القلب، ووحشة النفس، وبدلت الكره حبا، والجفاء وصلا.

وعن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاما، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ : "صدق سلمان"[3].

وهذا مبالغة في إكرام الزائر، فقد شرع الإسلام الإفطار في صيام النافلة إكراما له إذا خشى التحرج من الأكل منفردا.

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب حق الضيف، (٨/٣١، ح/ ٦١٣٤).

(2)أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٤/ ٢٠٢٦، ح/٢٦٢٦).

(3) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف (٨/ ٣٢، ح/٦١٣٩)

المبحث الثانى

مراعاة الذوق العام في اللباس

إن واحدا من أهم قواعد ومظاهر الذوق العام الملابس اللائقة؛ من حيث نظافتها وجمالها فيما يتماشي مع أعراف الناس، ويجب مراعاة الذوق العام في اختيار الملابس بحيث لا تكون نشازا يؤذي الناظرين وتشمئز منه الفطر السليمة، وقد امتن الله على خلقه بزينة اللباس فقال سبحانه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١).

ولما أكل آدم عليه السلام وزوجه من الشجرة المنهي عنها سقط عنهما لباسهما فبدت لهما سوءاتهما ولشدة حيائهما من ربهما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، قال تعالي: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾(٢)، وأمر الله ذريتهما بألا يتبعوا خطوات الشيطان، قال جل جلاله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾(٣).

فدل ذلك علي أهمية اللباس، وقد عنيت السنة المطهرة أيما عناية بمراعاة الذوق العام في اللباس وفيما يلي نموذجا لهذه العناية:

---

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) الأعراف: ٢٢ – ٢٦.

(٣) الأعراف: ٢٧.

- اللباس مظهر من مظاهر تقييم الناس واحترامهم، وقد حث الإسلام علي حسن البزة، وكره الابتذال في الثياب، وكان النبي ﷺ يلبس ما يجده من صوف أو كتان أو قطن، ولم يكنﷺ يقصد لباسا بعينه، فلبس النبي ﷺ أغلي الثياب في وقته وهو الحِبَرة، ولم يمتنع ﷺ عن لبس معين إلا لمحذور شرعي، فقد كان للنبي ﷺ حلة يلبسها حين مقابلة الوفود وفى الجمعة والعيدين، فعن عبد الله بن عمر: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب، رَأَى حُلَّةً سِيَرَاءَ[1] عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَو اشْتَرَيْتَ هَذِهِ، فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ" ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا حُلَلٌ، فَأَعْطَى عُمَرَ بنَ الخَطَّاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، مِنْهَا حُلَّةً، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَوْتَنِيهَا وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا"، فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب ﷺ، أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا[2]. فلم يمتنع النبي ﷺ عن الحلة لنفاستها، وإنما لكونها من الحرير وهو محرم علي الرجال، وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا الحِبَرَةَ"[3]" [4].

([1]) السيراء: بكسر السين وفتح الياء والمد: نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور، فهو فعلاء من السير. [النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٣٣)].

([2]) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد، (٢/٤)، ح/٨٨٦).

([3]) قال الجوهري الْحِبَرَةُ بِوَزْنِ عِنَبَةٍ بُرْدٌ يَمَانٍ، وقال الهروي مُوَشِّيَةٌ مُخَطَّطَةٌ، وقال الداودي: لونها أخضر لأنها لباس أهل الجنة كذا قال وقال بن بطال هي من بُرُودِ اليمن تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عندهم وقال القرطبي سميت حبرة لأنها تحبر أي تزين والتحبير التزيين والتحسين. [فتح الباري لابن حجر: (١٠/٢٧٧)].

([4]) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، بَابُ البُرُودِ وَالحِبَرَةِ وَالشَّمْلَةِ (٧/١٤٧، ح/٥٨١٣).

وهذا يتسق مع قوله ﷺ "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"(١)، وليس من صور الكبر المنهي عنه في قول النَّبِيِّ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ"(٢).

فالمداومة علي لبس الصوف والثياب المرقعة، واعتقاد أن ذلك من هدي النبي ﷺ إنما هو بدعة مخالفة لسنته ﷺ، وكذلك لبس الخيلاء، قال النبي ﷺ: "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ" (٣).

فهذا التوجيه النبوي يقتضى القصد والتوسط في اللباس، فلا يلبس الغالي النفيس الذي يرهق الضعفاء ويجلب لصاحبه الخيلاء، ولا المبتذل الوضيع الذي يزري بصاحبه وينتقص من شأنه.

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: "أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَهَانَا عَنْ: آنِيَةِ الفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ(٤)، وَالقَسِّيِّ(١)، وَالإِسْتَبْرَقِ(٢)" (٣). وفى رواية: "وَالمَيَاثِرِ الحُمْرِ(٤) " (٥).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (١/ ٩٣، ح/٩١).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (١/ ٩٣، ح/٩١).
(٣) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، (٧/ ١٤١، ح/٥٧٨٤).
(٤) الدِّيبَاجِ: وهو الثياب المتخذة من الإبريسم، فارسي معرب. [النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٩٧)].

يقول ابن القيم –رحمه الله–: الذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بإزائهم طائفة قابلوهم، فلا يلبسون إلا أشرف الثياب، ولا يأكلون إلا ألين الطعام، فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي ﷺ؛ ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض(٦).

– وكذلك من هدي النبي ﷺ في الثياب، أن يتحرى الإنسان في ستر عورته، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: " نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ لِبْسَتَيْنِ: أَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ فِي الثَّوْبِ الوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ بِالثَّوْبِ الوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى أَحَدِ شِقَّيْهِ، وَعَنِ المُلاَمَسَةِ وَالمُنَابَذَةِ "(٧).

وهذا من كمال هديه الشريف ﷺ، وهو ما يوافق الفطر السليمة والذوق العام للمجتمعات، أما ما استحدثه بعض الناس اليوم من الثياب الممزقة والتي تظهر أكثر مما تخفى مما يسبب نشازا واشمئزازا لدي الناظر، فليس من الذوق العام في شيئ، ولا يدخل في الحرية الشخصية التي يدعونها، فإن حرية الشخص تنتهي عند حدود الغير، والشوارع والأماكن العامة ملك للجميع.

---

(١) القسي: هُوَ ضرب من ثِيَاب كتَّان مخلوط بحرير يُؤْتى بِهِ من مصر نُسب إِلَى قَرْيَة على سَاحل الْبَحْر يُقَال لَهَا القسّ. [الفائق في غريب الحديث: (١٩٢/٣)].

(٢) الإستبرق: وهو ما غلظ من الحرير والإبريسم. [النهاية في غريب الحديث والأثر: (١/ ٤٧)].

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، (١/٢، ح/١٢٣٩).

(٤) قال أَبُو عُبَيْد: وَأما المياثر الْحمر الَّتِي جَاءَ فِيهَا النَّهْي فَإِنَّهَا كَانَت من مراكب الْأَعَاجِم من ديباج أَو حَرِير. [غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢٢٨/١)].

(٥) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب المثيرة الحمراء، (١٥٣/٧، ح/٥٨٤٩).

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد: (١/ ١٤٠).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الاحتباء في ثوب واحد، (٧/ ١٤٨، ح/٥٨٢١).

- ومن مظاهر الذوق العام في السنة النبوية فيما يتعلق بالثياب أيضا، تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال فقد حرم النبي ﷺ ذلك، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: "لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال" [1].

ولا يخفي على ذي لب ما أصاب المجتمع اليوم من مشاركة المرأة الرجل في لباسه، حتي اختلط الحابل بالنابل، ولا شك أن هذا ضرب من الأذي النفسي والتلوث البصري الذي يصيب الأسوياء من الناس.

([1]) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب: المتشبهون بالنساء، والمتشبهات بالرجال، (١٥٩/٧ ح/٥٨٨٥).

المبحث الثالث

مراعاة الذوق العام في الكلام.

امتن الله على الإنسان بنعمة البيان، التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يبلغ مراده للناس مع مراعاة اختلاف اللغات، وتباين اللهجات، فقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[1].

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وأزاح الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان، ذلك البيان، ومن أي جنس كان، ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان في ذلك الموضع[2].

ولما كان الكلام ضرورة بشرية وحاجة فطرية، كان الاهتمام به في السنة النبوية واضحا جليا، وجاءت النصوص التي تضبط الكلام بما يتفق ويتناسب والذوق العام، وهذه بعض الضوابط التي يجب مراعاتها في الكلام:

- أن يخلو الكلام من التكلف، فمن الناس من يعمد في كلامه أن يأتي بما يشق على المستمع فهمه، ففيه من غرائب الألفاظ ما يجعلك تحتاج دائما أن تحمل معك كتب معاجم اللغة لتفك رموزها، وتقف على معناها ومرادها، ولا شك أن هذا يتنافى وطبيعة الناس، مما يحدث النفرة بينهم؛ فكلما كان الإنسان على طبيعته وفطرته، كان هذا أدعى في قبول كلامه وفهم مراده، وخرج الكلام بانسيابية وأريحية دون مشقة أو كلفة.

---

(1) الرحمن: ١ – ٤.

(2) البيان والتبيين للجاحظ: (١/٥٤).

وقد عاب النبي ﷺ هذه الطريقة من الكلام في قوله ﷺ: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ". قَالَهَا ثَلَاثًا[1].

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث: "أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[2].

وعن جَابِر -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ[3] وَالمُتَشَدِّقُونَ[4] وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ"[5].

فهذه الصفات التي حذر النبي ﷺ منها في هذا الحديث تعمل على نفور الناس من المتصف بها،

---

(1) أخرجه مسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥٥، ح/٢٦٧٠).

(2) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج: (٢٢٠/١٦).

(3) الثَّرْثَارُونَ: هم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجا عن الحق. والثرثرة: كثرة الكلام وترديده. [النهاية في غريب الحديث والأثر: (٢٠٩/١)].

(4) المتشدقون: هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم. [النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٥٣)].

(5) أخرجه الترمذي: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٣/ ٤٣٨، ح/٢٠١٨). وإسناده حسن؛ فيه مبارك حسن؛ فيه مبارك: وهو ابن فضالة بن أَبي أمية القرشي العَدَوي، صدوق يدلس ويسوي، إلا أنه صرح في هذا الإسناد بالتحديث، توفى سنة خمس وستين ومئة الثقات للعجلي: (٤١٩، ت/١٥٣٣)- الجرح والتعديل: (١٥٥٧/٣٣٨/٨)- الأنساب: (١٦٧/٤)- تهذيب الكمال: (٥٧٦٦/١٨٠/٢٧)- سير أعلام النبلاء: (١٢٢/٥)- الكاشف: (٥٢٧٤/٢٣٨/٢)- تقريب التهذيب: (ص٥١٩/٦٤٦٤)- طبقات المدلسين: (ص٤٣/٩٣).

- عدم رفع الصوت إلا لحاجة، قال تعالي: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[1]. وكان من وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[2]. فخفض الصوت عند محادثة الناس فيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث، ورفعه أي رفع الصوت دليل على فقدان ذلك.

ومن هنا جاء استخدام لقمان عليه السلام لابنه وسيلة منفرة تجعله يكره رفع الصوت، فقد شبه له من يفعل ذلك بنهيق الحمار، وليس هناك أغلظ من أصوات الحمير إذا ما قورنت أصواتها بالنسبة لسائر الحيوانات الأخرى، وقد أرشدت السنة النبوية الإنسان المسلم بالتعوذ عند سماع صوت الحمار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا"[3].

ومن سمات عباد الرحمن أنهم ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[4].

فهم أصحاب الأخلاق العالية، والآداب الرفيعة، في مشيهم وهديهم ودلهم، وفي حديثهم أولى وأحرى، مع صدقهم، وقوة حجتهم وحلمهم وصفحهم، وإعراضهم عن البذيء من القول، والفاحش من الحديث، وتجنباً لحماقة الحمقى، وسفاهة السفهاء، لا يرفعون أصوتهم من غير حاجة، فـ ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[5]،

---

(1) الإسراء: ١١٠.
(2) لقمان: ١٩.
(3) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، (٤/ ١٢٨، ح/٣٣٠٣).
(4) الفرقان: ٦٣.

﴾[1]، و لأن رفع الصوت خلق سيء وأدب سمج، يسلكه ضعيف الحجة، واهي البرهان يريد إخفاء رعونته وجهله برفعه صوته، وإغلاظه في كلامه مع الآخرين، وهم أيضا لا يتكلمون فيما لا يعود عليهم بفائدة ؛ وإنما ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[2].

وقد نهى النبي ﷺ عن رفع الصوت إلا لحاجة ملحة، فإن ذلك مما يتنافى مع الذوق العام، ويؤذي الأسماع، وهو ما يعرف حديثا بالتلوث السمعي، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على واد، هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ" [3].

فإذا كان ارتفاع الصوت بالدعاء والذكر، -وهما عبادة- منهيا عنه، فإن ما سواهما ألزم في النهي، وإذا كان خير الأمور أواسطها، فإن الاعتدال في رفع الصوت من الأهمية بمكان.

- أن يكون القول لينا لطيفا طيبا، ذلك أن النفوس جبلت على النفور من كل غليظ قاس، وجبلت أيضا على الركون إلى كل لين رقيق، وإلى كل لطيف رفيق، وأنت واجد ذلك لا محالة في دنيا الناس، ولا يشذ عن هذا إلا أغلف القلب جافي الطبع منكوس الفطرة من الأشقياء ممن هم على شاكلة فرعون -لعنه الله- فقد أرسل الله إليه كليمه موسى عليه السلام، وأخاه هارون عليه السلام وأمرهما أن يلينا له في القول،

---

(1) لقمان: ١٩.

(2) القصص: ٥٥.

(3) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، (٤/٥٧، ح/٢٩٩٢).

فلربما تجدي معه هذه الوسيلة، فيرعوي عما هو فيه من كفر وضلال، قال سبحانه: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1].

فما ازداد إلا طغيانا ونفورا، وقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2]، قال ابن كثير –رحمه الله– أي: كلموهم طيبا، ولينوا لهم جانبا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف[3].

فقوله تعالي: للناس أي: مطلق الناس، فلم يختص الأمر بالقول الحسن بالمسلمين فقط، وإنما يعم الناس جميعا، وإذا كان ليس بمقدور الإنسان أن يسع الناس جميعا بماله، فلا أقل أن يسعهم بحلو منطقه وعذوبة حديثه.

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال[4]

وقال النبي ﷺ: " ... والكلمة الطيبة صدقة" [5]، فعلى الإنسان تقدير كل كلمة ينطق بها حتى لا تؤذي الآخرين، وذلك فإن الكلمة الطيبة فضلا عن كونها صدقة، فهي من أهم قواعد الذوق العام، وقد تصنع شخصا، وتهدي ضالا وتؤلف قلبا، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[6].

وأما الكلمة السيئة فقد تحطم قلبا وتنشئ عداوة، وتثبط عزيمة، بل قد تكون سببا في حتف قائلها.

---

(1) طه: ٤٣ – ٤٤.

(2) البقرة: ٨٣.

(3) تفسير ابن كثير: (١/ ٣١٧).

(4) شرح ديوان المتنبي للواحدي: (ص: ٣٤٩).

(5) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، (٥٦/٤، ح/٢٩٨٩).

(6) فصلت: ٣٤.

يَموتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَـــانِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ بالقَوْلِ تَرْمِـــي بِرَأْسِهِ وعَثْرَتُهُ بالرِّجْلِ تَبْرا علـــــى مَهْلِ[1]

ومن أجل هذا يبين النبي ﷺ في أحاديث عدة خطورة اللسان وما يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الهلاك، فمن ذلك قوله ﷺ: إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ" [2]. وقوله ﷺ: "إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" [3].

ولما كانت الكلمة الطيبة الرقيقة مطلبا إنسانيا يطمح الناس له، وكان الكلام من أبرز الصفات التي تعمل على تحديد شخصية الإنسان، جاءت النصوص النبوية توضح صفة كلام النبي ﷺ أيما إيضاح، فكان كلامه ﷺ مفهوما ومفصلا، بليغا فصيحا عذبا يفهمه كل من يسمعه، ويتصف كلامه ﷺ بالمنطق ويأخذ بتلابيب القلوب ويأسر الأرواح، فهو يفصل الكلام تفصيلا، فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، كان "يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه"[4]، وفى حديث آخر: " لم ﷺ يكن يكن يسرد الحديث كسردكم"[5].

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان "إذا سلّم سلّم ثلاثا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا" [6]، وذلك حتى يفهمه السامع ويعقله، كما ينبغي أيضا مراعاة آداب المجالس

---

(1) العقد الفريد: (٣٠٣/٢).
(2) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (١٠٠/٨، ح/٦٤٧٧).
(3) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (١٠١/٨، ح/٦٤٧٨).
(4) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (٤/ ١٩٠، ح/٣٥٦٧).
(5) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (١٩٠/٤، ح/٣٥٦٨).
(6) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، (٣٠/١، ح/٩٤).

المجالس وعند ركوب المواصلات، من حيث مثلا عدم رفع الصوت بالحديث، والكلام في الهاتف وضوابطه من حيث مراعاة أوقات الاتصال، وغير ذلك.

هذا، وقد تبين مما سبق أن الإسلام دين يتعبد أتباعه بالذوق الجميل قولا وفعلا، ويجدر في مقام الكلمة الطيبة أن ننوه على مراعاة الذوق العام في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة من خلال مناقشة قضايا الأمة بأسلوب يرقى بالإنسان، ويحترم سمعه وبصره وعقله.

- ومما تجدر الإشارة إليه مراعاة قواعد الذوق العام عند الجدل والمناظرة، (فينبغي أن تقوم المناظرات على أساس من الاحترام المتبادل، والرغبة من الطرفين في الوصول إلى الحق، واستخدام أدوات المجادلة الصحيحة، وتصحيح النيات، وعدم استعمال خلفيات مسبقة، وإنما إحسان الظن بالخصم، وعدم سحب نتائج المجادلة إلى الحياة العملية، إنما تنتهي بانتهاء مجلسها) [١]، يقول يونس الصفدي[٢]: "ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوما في مسألة ثم افترقنا، ولقيني وأخذ بيدي ، ثم قال : يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة "[٣].

- وليس الأدب في الحوار مقتصرا على المسلمين فيما بينهم، بل هو متحتم مع الناس جميعا، (فالواجب استعمال الأسلوب الحسن في النقاش، واحترام الخصم

---

(١) تحفة الأريب بما للدعوة من وسائل وأساليب، للدكتور حسين حامد الديب: (٢٩٣).

(٢) يُونُس بن عبد الأَعْلَى: هو ابن مُوسَى بن ميسرَة بن حَفْص بن حَيَّان الإِمَام الْكَبِير أَبُو مُوسَى الصدفى المصرى الْفَقِيه المقرى، ولد فى ذى الْحجَّة سنة سبعين وَمِائَة، وثقه أبو حاتم والنسائي، وتوفي فى ربيع الآخر سنة أَربع وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. [طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (١٧٠/٢)].

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٦/١٠)، وقد علق الذهبي على هذه القصة فقال: « هذا يدل على كمال عقل الإمام وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون».

المقابل، وإن سوء أدب المقابل، وقلة حيائه لا يسوغ أبدا معاملته بالمثل؛ لأن المسلم يتعامل من منطلق ما يمليه عليه دينه، وما تفرضه أخلاقه إلا الذين ظلموا منهم ، فيجوز- والحالة هذه- التعنيف عليهم ، وزجرهم بالقول الذي يكون وقعه شديدًا على نفوسهم من باب العقوبة والزجر لهم) [1].

ويشهد لذلك الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ وبين عتبة بن ربيعة، كما أخرجه ابن إسحاق: بسنده، قال: حُدِّثْتُ أن عتبة بن ربيعة، -وكان سيدا-، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ ...، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَةِ[2] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: "قل يا أبا الوليد، أسمع"، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع، على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فتلى عليه

---

(1) تحفة الأريب بما للدعوة من وسائل وأساليب، للدكتور حسين حامد الديب: (٢٩٤).

(2) العرب تقول: واسط بيّن السطة بكسر السين خفيفة، إذا كان واسط النسب. [البارع في اللغة: (ص: ٦٧٥)].

صدر سورة فصلت ....، فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك [1].

فهذا الحوار الهادئ بين رسول الله ﷺ وبين أحد كبار مشركي قريش –أو إن شئت فقل وبين أحد أعدائه ﷺ– يرسم صورة راقية حضارية لما يجب أن يكون عليه المجتمع بعمومه علي اختلاف أديانهم ومذاهبهم، فلا مجال فيه لكلمة نابية، أو خصومة طاغية، بل الأدب الجم، والاحترام المتبادل.

(1) تحفة الأريب بما للدعوة من وسائل وأساليب، للدكتور حسين حامد الديب: (٢٩٤).

المبحث الرابع

مراعاة الذوق العام في الطريق

لما كانت الشريعة الإسلامية تستهدف الذوق الجميل وتقصده مظهرا وجوهرا، جاء ديننا الإسلامي الحنيف شاملا لكل مناحي الحياة، فهو دين المبادئ والقيم، ودين الأخلاق والمعاملة، فلم يدع مجالاً من مجالات الحياة إلا بيّن فيها الحسن ليُمتثل، والقبيح ليُجتنب، ومما يدل على شمولية الدين لكل مناحي الحياة، ما أوضحه الكتاب والسنة وآثار الأئمة من مراعاة الذوق العام في الطريق، وحقوق المارة، ومجالس الناس العامة والخاصة ، يقول الله – تعالى – في الكتاب العزيز: ، قال تعالي: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

فعباد الرحمن من سماتهم أنهم يمشون في الطريق هوناً، فلا تصنع ولا تكلف، ولا تكبر ولا خيلاء، وإنما وقار وسكينة من غير مذلة، وجد وقوة من غير تكبر وبطر، تأسياً بالقدوة العظمى محمد ﷺ ، وتلك هي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، يمضي إلى قصده هينا مستقيما لا يصعر خده استكباراً، ولا يمشي في الأرض مرحاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾[2]. وكان من وصايا لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾[3].

وعدّ النبي ﷺ من أبواب الخير: تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك

---

(1) الفرقان: ٦٣.

(2) الإسراء: ٣٧.

(3) لقمان: ١٨.

الرجل الردئ البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة ، فعن عائشة –رضى الله عنها– قالت: إن رسول الله ﷺ قال: "إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظما عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى، فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار" (١).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له فغفر له"(٢).

فالمعروف أن وجود مثل هذه العرقلات في الطريق يؤثر علي المارة، كما أنه يؤذي الذوق العام، ويهدد السلامة النفسية والاجتماعية للناس.

ويرشدنا النبي ﷺ إلي آداب الطريق فيما يرويه أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: "إياكم والجلوس على الطرقات"، فقالوا: ما لنا بُد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: "فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها"، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر" (٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (٦٩٨/٢، ح/ ١٠٠٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٤/ ٢٠٢١، ح/١٩١٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات (١٣٢/٣، ح/٢٤٦٥).

فهذا الحديث أصل عظيم في بابه حيث بين النبي ﷺ فيه آداب الطريق فأغنى عن كل بيان، فهو يهدف إلى الرقي بالمجتمع المسلم إلى معالي الأمور، وسمو الأخلاق، وعلو الآداب، وينأى بأفراده عن كل خلق سيء أو عملٍ مشين، ويريد أن يكون المجتمع مجتمع محبة وألفة، تربط بين عناصره الأخوة والمودة، ألا ترى إلى تلك المناقشة الهادفة بين قائد الأمة وأفرادها حول ظاهرة اجتماعية مهمة، لو بقيت على وضعها لأفسدت المجتمع، فدلهمﷺ إلى الوضع السليم تجاهها.

يقول الحافظ ابن حجر:

جمعت آداب من رام الجلوس على ... الطريق من قول خير الخلق إنساناً
أفش السلام وأحسـن في الكلام ... وشمت عاطساً وسلاماً رد إحساناً
في الحمل عاون ومظلوماً أعن وأغث ... لهفان أهد سبيلاً وأهد حيرانـاً
بالعرف مر وأنه عن نكر وكف أذى ... وغض طرفاً وأكثر ذكر مولانـا

(١).

لقد حذر نبينا محمد ﷺ من الجلوس على الطرقات، وذلك لأن في الجلوس على الطرقات تعرض للفتن من النظر إلى النساء الكاسيات العاريات، وهو كذلك تحذير للنساء من كثرة الخروج إلى الأسواق والأماكن العامة لغير حاجة؛ لما فيه من مفسدة تعرضهن للأذى من أعين الذئاب البشرية، ومزاحمتهن للرجال على الطرقات، وخاصة في أيامنا هذه التي كثر فيها خروج النساء إلى الأسواق، أضف إلى ذلك قلة الحياء عند بعضهن فضلاً عن قلة الدين، مما أدى إلي انتشار كثير من العادات القبيحة التي يتعلمها الجالسون على الطرقات؛ كالتدخين، والمظاهر الشاذة في اللباس أو الشعر، وغيرها من الأخلاق السيئة.

---

(١) فتح الباري: (١١/١١).

فتجد الطرقات والأرصفة مليئة بالشباب التائه الضائع يتصيدون النساء، فتجد الأرصفة ملأى بهؤلاء الشباب الذين لم يعطوا أي حق للطريق، ولم يراعوا حرمة أعراض المسلمين، فأطلقوا العنان للبصر بدلا عن أن يغضوه، وبذلوا الأذى بدلا من أن يكفوه، فهؤلاء يحرم عليهم الجلوس في الطرقات؛ لأنهم لم يعطوا الطريق حقه، وبعض هؤلاء يجلسون عند أبواب المحلات في الأسواق يتصيدون الداخل والخارج، يتخوضون في أعراض المسلمين، وينتهكون الحرمات ويخلّون بالذوق العام الذي يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم، ناهيك عن تعرضهم لعقاب الله في الدنيا والآخرة.

ولا يخفى ما في الجلوس في الطرقات من المفاسد؛ وأخطرها إِلْف المعصية؛ وذلك لكثرة ما يرى من المعاصي والمنكرات، فيصبح لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، أو يزيد البلاء بلاء فيسمي المعروف منكرا والمنكر معروفا! أو يرتكس به الحال فيصير يفتخر بالمعصية ويتباهى بها، ويحدث بها من لم يعلم الناس أنه عملها!.

هذا، ومن الأمور التي تخل بالذوق العام في الطرقات أيضا، استعمال منبه السيارة إلّا لحاجة، وعدم مراعاة أنظمة المرور، وأيضا ما يقوم به البعض من إلقاء القمامة في الطريق أو مخلفات ما يقوم بشرائه؛ وذلك لأنها تسبب الأذى للمارين، ولذلك حثّ الإسلام على إماطة الأذى عن الطريق كقطع الزجاج، وكل ما قد يُسبب الانزلاق والتعثّر، وممّا يدلّ على ذلك قول رسول الله ﷺ "لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس"[1]، وما ثبت عن أبي

([1]) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٤/٢٠٢١، ح/١٩١٤).

برزة الأسلمي –رضي الله عنه– قال: قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئا أنتفع به، قال: "اعزل الأذى عن طريق المسلمين"(١)، وتجدر الإشارة إلى أمرين:

أوّلهما: إنّ إماطة الأذى من طريق الناس يعدّ من الإيمان؛ لقول رسول الله ﷺ "الإِيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلّا اللّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ" (٢).

ثانيهما: أنّ صور إماطة الأذى من الطريق عديدة ومنها: تجنب قضاء الحاجة في الطريق أو في ظلّ الناس، لقول رسول الله ﷺ: "اتّقُوا اللّعّانَيْنِ قالوا: وَما اللّعّانَانِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الذي يَتَخَلّى في طَرِيقِ النّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ" (٣).

قال الخطابي وغيره من العلماء المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه وليس كل ظل يحرم القعود تحته فقد قعد النبي ﷺ تحت حايش النخل لحاجته وله ظل بلا شك والله أعلم، وأما قوله ﷺ الذي يتخلى في طريق الناس فمعناه يتغوط في موضع يمر به الناس وما نهى عنه في الظل والطريق لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره (٤).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٢٠٢١/٤، ح/٢٦١٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، (٦٣/١، ح/٣٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، (٢٢٦/١، ح/٢٦٩).

(٤) شرح النووي على مسلم: (١٦٢/٣).

المبحث الخامس

مراعاة الذوق العام في المسجد

إذا بحثت عن محض الطهر والقدسية في الإسلام فهو هو المسجد، كيف لا؟! وهو المكان الذى تقام فيه شعائر الدين، ويعبد الناس فيه ربهم، وتبرم فيه المعاهدات وتعقد فيه الألوية، ومنه ينبع الدين الذى به قوام الدنيا، فإذا كنت بصدد الكلام عن مراعاة الذوق العام في المساجد، فاعلم أن الأمر دين شرعه رب الأرض والسماء وكفى، فالمساجد بيوت الله تعالى، ومن أحب الله تعالى أحب بيوته، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، وهنا ينسحب الذوق العام من الميدان تاركا المجال لسنة النبي ﷺ التي تعدت كل ذوق وفاقت كل جمال، وفيما يلي نماذج لمراعاة مظاهر الذوق العام في المسجد:

- اللباس والتطهر: فقد أمر الله تعالى بأخذ الزينة عند كل مسجد، فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2]، فعندما يأتي المسلم لبيت الله يجب عليه اختيار أنظف وأفضل الثياب، واقتداء برسول الله ﷺ وطاعة له في حضه على السواك وحبه للطيب وأمره بالاغتسال كل يوم جمعة كحد أدنى فضلا عن اغتسال الطهارة، قال النبي ﷺ قال: "إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل"[3]، وقوله ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة"[4].

فقد عللت هذه الأشياء بكون الجمعة عيدا، وذلك أنه يوم يجتمع فيه الناس للصلاة، فاستحب فيه الغسل، وهذه الأمور تجعل المسلم مهتما بنظافة جسمه ولباسه؛

---

(1) الجن: ١٨.

(2) الأعراف: ٣١.

(3) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، (٣/٢، ح/٨٨٢).

(4) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، (٢/ ٤، ح/٨٨٧).

فبعض الناس يأتي إلى المسجد بملابس النوم أو ملابس العمل، وقد تكون متسخة وبها روائح كريهة تؤذي المصلين، لأنه يتردد على بيوت الله كل يوم خمس مرات، وهكذا يحافظ الإسلام على نظافة المظهر العام للمسلم بما يراعي الذوق العام للمجتمع كله، فلا مجال لتنفير الناس واشمئزازهم برائحة كريهة، ولا منظر مشين.

– ومن مراعاة الذوق العام في المسجد النهى المسلم الذي يحضر الجماعات عن تناول بعض الأطعمة كالثوم والبصل، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "من أكل من هذه الشجرة، فلا يقربن مسجدنا، ولا يؤذينا بريح الثوم"[1]، وهذا حرصًا على مشاعر المصلين الذين قد يتضررون من الرائحة النفاذة لهذه الأطعمة.

– ومما ينبغي على المسلم مراعاته قياسا على ما سبق، شرب الدخان وما يسببه من روائح مؤذية، وكذا الاهتمام بنظافة الجوارب عند دخول المسجد، ومراعاة سنن الفطرة عموما، فهذا أتم وأكمل في النظافة والطهارة، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب"[2].

– ومن مراعاة الذوق العام في المسجد: المحافظة على نظافة المسجد، وعدم تدنيسه ببول أو بصاق أو رمي بعض المناديل، أو بقايا الطعام، وغير ذلك مما هو مستهجن ومستقبح، فعن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن

---

(1) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، (١/٣٩٤، ح/٥٦٢).

(2) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، (١/٢٢١، ح/٢٥٧).

يساره أو تحت قدميه" ثم أخذ طرف ردائه، فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض، فقال: "أو يفعل هكذا" (١).

وعن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ. إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ" فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ" (٢).

عن السائب بن يزيدﷺ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بن الخَطَّاب، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا – أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ – قَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: "لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" (٣).

وفي هذه التوجيهات النبوية صيانة للمساجد من القاذورات، ويقاس عليه عبث بعض الأطفال أثناء الصلوات، وهذا أمر بالغ الأهمية يحتاج إلي مزيد من العناية؛ لإنه يؤدي إلي حدوث فوضي في المسجد مما ينشب عنه شجار كثير من المصلين، وفى المقابل لابد من تشجيع الصبية الصغار وإحضارهم الى المسجد تعويدا لهم على العبادة، وتحبيبهم في المساجد مع تعليمهم آدابها قبل دخولها، والإشراف عليهم أثناء وجودهم فيها لتوجيههم وتنبيههم عند الإخلال بحرمتها أو مخالفة آدابها والحذر الحذر من إهانتهم أو طردهم منها.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، (١/٩٠، ح/٤٠٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها (١/٢٣٦، ح/٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، (١/١٠١، ح/٤٧٠).

- كذا ينبغي تجنب التطيب والتزين والتبرّج للمرأة التي تشهد المساجد، ودخولها وخروجها من المكان المخصص للنساء، دون اختلاطها بالرجال أو مزاحمتهم، فعن زينب الثقفية -رضي الله عنها- قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: "إذا شهدت إحداكنّ المسجد فلا تمسّ طيّبا"(١).

وفي هذا التوجيه النبوي مزيد عناية بأمر المساجد فيما يخص المرأة، فقد شرع خروج المرأة إلي المسجد مشروطا بالزي المناسب والطريقة المناسبة، وهو في الأصل لتحصيل الأجر، وفي خروج المرأة إلي المسجد متعطرة متبرجة إخلال بمقصود خروجها، بل وإضرار بالرجال، وهذا لا شك فتنة وفساد كبير.

- النهي عن البيع والشراء وإنشاد الضالة في المسجد، لما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللَّه عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا" (٢).

ويلحق بذلك سؤال الناس أموالهم في المساجد، وإشغالهم عن التسبيح والتكبير والتهليل والذكر عمومًا بحجة الفقر والحاجة.

- المشي إلى الصلاة بخشوع وسكينة، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"(٣).

فإذا أردت أن تنظر إلي الرقي في أبهي صوره والمدنية في أوج نظامها، ففي هذا التوجيه النبوي الذي يدعو المصلين إلي التزام السكينة والوقار عند قيامهم إلي

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة، (٣٢٨/١، ح/٤٤٣).

(٢) أخرجه مسلم: أول كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، (٢١٤٥/٤، ح/٢٧٨٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الآذان، باب لا يسعى إلى الصلاة، وليأت بالسكينة والوقار، (١٢٩/١، ح/٦٣٦).

الصلاة، فلو تركوا وشأنهم لعمت الفوضى في كل يوم ولأعطي ذلك صوررة منفرة عن أعظم شعيرة هي أعظم شعائر الإسلام، -خاصة في المساجد الكبرى- فقد يؤدي ذلك إلي التدافع والازدحام عند الأبواب مما يلحق الأذى بالمسلمين.

- ويدخل في مراعاة الذوق العام في المسجد عدم تخطي رقاب المصلين، فقد روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن بُسْرٍ ﷺ قال: جاء رجل يتخطى رقابَ الناس يوم الجمعة والنبي -ﷺ- يخطب، فقال له النبي -ﷺ-: "اجلِس فقد آذَيتَ" (١).

فمن الملاحظ أن بعض المصلين يأتي المسجد متأخرا ويريد أن يجلس في الصفوف الأولى، فيحمله ذلك على تخطي رقاب إخوانه المصلين والتفريق بينهم، ولا شك أن هذا يدخل في أذى المسلم، فضلا عن أنه يشيع الفوضى بين الصفوف مما يتنافى والذوق العام الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم لا سيما في بيوت الله، فكان الأولى بالمسلم أن يجلس حيث ينتهي به المجلس.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب تخطِّي رقاب الناس يوم الجمعة، (٢/٣٣٣، ح/١١١٨)، وإسناده صحيح.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فقد انتهيت –بفضل الله– من كتابة هذا البحث، وكان من أهم نتائجه ما يلي:

– جاء الدين مهذبا للطباع، مراعيا للمشاعر، جابرا للخواطر، فكل حُسن من الدين يُستمد، وعليه يعتمد.

– مسألة الذوق العام لا تخضع لأعراف الناس وتقاليدهم، بل هي من صميم التشريع الإسلامي، وليست حكرا علي بلد أو شعب بعينه.

– راعي الإسلام الذوق العام في كل أحوال الإنسان في البيت والطريق والمسجد، ومع المسلم وغيره.

– جاءت السنة النبوية شاملة لكل الأنشطة اليومية الجارية التي تستحوذ على اهتمام الناس دينا ودنيا، وإثارتهم للخير، سواء في علاقاتهم الشخصية أو العامة بحيث تترك أثرا إيجابيا مع كل حديث وحادثة.

– الذوق العام في ضوء السنة النبوية عبارة عن مزيج من الأخلاق الرفيعة التي ترقى بالفرد والمجتمع نحو سماء الرفعة والازدهار، والسلام النفسي والاجتماعي.

هذا وما كان من توفيق فهو محض فضل الله علي، فله الحمد الحسن والثناء الجميل، وما كان من خطأ أو تقصير فأستغفر الله منه، والله من وراء القصد وهو الهادي إلي سواء السبيل.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية، المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى: ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- البارع في اللغة، المؤلف: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ)، المحقق: هشام الطعان، الناشر: مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م.
- البيان والتبيين، المؤلف : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار النشر : مكتبة الخانجي، البلد : القاهرة، الطبعة : السابعة، سنة الطبع : ١٤١٨هـ ، ١٩٨٨م.
- الثقات للعجلي: (ت٢٦١هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة:١٤٠٥هـ.
- الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- السنن الكبرى للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفي سنة:٣٠٣هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة:١٤١١هـ،١٩٩١م.
- السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط-محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

- السنن لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

- العقد الفريد، لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

- الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، والكتاب طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة الولى، سنة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.بجريدة الاقتصادية الدولية: عدد الجمعة ١١ سبتمبر ٢٠٢٠م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، طبعة دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الثالثة، سنة:١٤١٩هـ،١٩٩٨م، وهو مطبوع مع صحيح مسلم.

- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، المتوفي سنة:٦٠٦هـ، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، سنة:١٤١٨هـ١٩٩٧م].

- تحفة الأريب بما للدعوة من وسائل وأساليب، للدكتور حسين حامد الديب، ط: مكتبة رشوان.

- تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي
- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبعة دار الرشيد سوريا حلب، الطبعة الثالثة سنة ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- تهذيب الكمال للإمام الحافظ يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م،
- سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، المتوفى سنة:٨٥٢هـ، طبعة دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة:١٣٧٩هـغريب الحديث لابن الجوزي: (٣٧١/١)].
- سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، طبعة: دار الحديث.
- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، طبعة دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م، تحقيق شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفي سنة:٧٤٨هـ، طبعة: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى سنة: ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

- شرح ديوان المتنبي، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ).
- صحيح الإمام مسلم، طبعة دار الالحديث بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفي سنة:٢٥٦هـ، طبعة دار ابن كثير بيروت، الطبعة الثالثة، سنة:١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.
- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- غريب الحديث لأبى الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، المتوفي سنة:٥٩٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م،
- غريب الحديث للإمام القاسم بن سلام الهروي، أبو عبيد، المتوفى سنة ٢٢٤هـ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦هـ.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، سنة:١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- لسان العرب، لمؤلفه محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، طبعة دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤ هـ.
- مجلة الرسالة: (العدد: ٢٢).
- مجلة الرسالة: العدد: ٢٢.

- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون. الناشر: مكتبة المنار – عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.